القيمة التعبيرية للصوت اللغوي في ديوان "السياسيات" لأحمد محرّم

The expressive value of the linguistic Voice in the Politics Diwan of Ahmed Muharram

إيمان درنوني *
جامعة باتنة 1 - الجزائر
مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة
imane.dernouni@univ-batna.dz

الجودي مرداسي
جامعة باتنة 1 - الجزائر
أبحاث في التراث الأدبي والفكري
djoudimerdaci@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022-03-09 تاريخ القبول: 2022-05-12

ملخص:

يُعد الصوت اللغوي ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة، وعنصرا فعالا من عناصر التحليل اللساني، وهو أولى لبنات النص الشعري و به ترتبط جمالياته؛ ذلك لأن الأصوات بما تحمله من ملامح تمييزية (جهر، وهمس، وشدة، ورخاوة، واحتكاك، وانفجار، وصفير....) تعكس الواقع النفسي للشاعر، وكذا الواقع الدلالي للنص الشعري، فهي كالمرآة العاكسة لما يجول في خاطره من أفكار، يود الإفصاح عنها، و إيصال دلالاتها إلى المتلقين في أكمل صورة.

الكلمات المفتاحية: دلالة صوتية ؛ صوت لغوي؛ صوامت؛ صوائت؛ فونيمات تركيبية.

Abstract:

The linguistic Voice is an important phenomenon of language, and an effective élément of the linguistic analyse is of the poetic text, and it is the first building block of the poetic text and its aesthetics are related to it, as the sounds with their distinctive features (loudness, whispering, intensity, looseness, friction of an explosion, whistling ... ..) It reflects the semantic reality of the poetic text, and the psychological reality of the poet, as it is like a mirror that reflects what he wanders in his minds of ideas that he wishes to disclose and convey its connotations to the recipients in the most complete way.

Keywords phonemic semantics; linguistic Voice; silences sounds; segmental phonemes.

*- المؤلف المراسل

مقدمة:

إن الصوت هو اللبنة الأساسية في بناء المنظومة اللغوية بعدّه أصغر وحدة غير قابلة للتفكيك، وبذلك يكون للصوت دور كبير ومهم في التعبير عن المعاني المقصودة؛ ذلك أن صفة الأصوات وميزاتها هي المعيار الأساسي الذي يعتمده منتج النص اللغوي للتعبير عن غرضه المقصود، وهدفه المنشود، فلا يخالف اختيار الشاعر لألفاظه اختيار الرسام لألوان لوحته الفنية، فالأصوات تجري مع السمع مجرى الألوان من البصر[2]

الأصوات ألوان الشاعر يختار منها ما يلفت بقوتها الانتباه وتستحوذ بملامحها المميزة على الأذهان، وتناسب مضمون النص وتشحن معانيه، فارضة بذلك معانيها ودلالاتها على المتلقي، وتحمل من المعاني المختلفة (حزن، أسى، طرب، ألم.....) ما تدق به قلب السامع وتستحوذ على تفكيره، فتحمل ما يريد الشاعر إيصاله على أتم حال، فيكون للأصوات وظيفة إبلا غية وفنية تسهم في تحديد المعنى، وهذا بفضل تناغمها وانصهارها في نسق موحد: نص متميز بأصواته، مفعم بدلالاته.

وهذه الأصوات أو ما يعرف بالفونيمات القطعية أو التركيبية تنقسم بالنظر إلى وجود وعدم وجود اعتراض للهواء المندفع من الرئتين في أثناء النطق بالصوت اللغوي إلى نوعين منها:

أ- الصوامت: هي كل الأصوات اللغوية ما عدا الحركات، وهي ثمانية وعشرون صوتا، وتعد هي الأساس للكلام المركب، وتتميز عن بعضها بعضا في عاملين رئيسين هما: الصفة والمخرج.

ب- الصوائت: هي ما يعرف عند النحاة بالحركات بنوعيها القصيرة والطويلة، والصائت هو الصوت الذي يندفع في مجرى الهواء دون أي عائق يعترض مجراه[3].

وبما أن الصوت جوهر الشعر، فالشاعر مهندس أصوات ينظم أبياته الشعرية تنظيما صوتيا يرتكز على هندسة الأصوات اللغوية وفق التأثيرات التي تحدثها اللغة في المتلقي.

ومن أجل الكشف عن هذه الطاقة التعبيرية للصوت اللغوي، سنحاول من خلال هذه الدراسة في ديوان (السياسيات) لأحمد محرم استجلاء الفونيمات حتى نتمكن من كشف

---

[2]-ابن سنان الخفاجي، (1982)، سر الفصاحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ص64.

[3]- ماهر مهدي هلال، (1990)، الأسلوبية الصوتية بين النظرية والتطبيق، مجلة آفاق عربية بغداد، العدد2، ص60.

قدرة الصوت اللغوي (الفونيم) على استيعاب الشحنات الدلالية في السياق الوارد فيه، وكيفية تساوق مواصفاته الإخراجية والأدائية مع مضامين السياق، معتمدين في ذلك على منهج وصفي يعتمد التحليل.

1- الطاقة التعبيرية للصوامت في الديوان:

النموذج الأول:

نستمع إلى الشاعر أحمد محرم وهو يلقي شعره بقلب يئن من ضياع بلاد المسلمين وتفرقهم وهوانهم بعد عزٍ وتلاحم فيقول:

وَارَحْمَتَا للمُسْلِمينَ تَفَرَقُوا وَتَبَاعَدُوا في الأَرضِ بَعْدَ تَدَانٍ

فَلَئِنْ بَكَيتُ فَقَدْ وَجَدتُ مُصَابَهُم فِي مَنْكَبِي وَجَوَانحي وحنانِي

ما بالدموع المستهلة ريبة هي في الجفون عصارة الوجدان

من كان أبصر خطبهم فأنا الذي مارسته ولمسته ببَنَانِي

مازلت أجمع بالقريض شَتاتهُم حتى انقضَى أدَبِي وضَاعَ زَمانِي

فاختار أحمد محرم " قافية " النون، هذا الصوت الحزين الذي ردده في ثنايا أبياته لتتلاءم صفاته مع ما يحسه من حزن وألم، فالنون صوت مجهور متوسط الشدة، وهي "للتعبير عن البطون في الأشياء"[4]،فحرف النون وما يحمله من إيحاءات راجع إلى أنه ينبعث من الصميم للتعبير عن الألم (أنَّ أنينا)، لذلك كان هذا الصوت الرنان أصلح الأصوات العربية للتعبير عن مشاعر الألم والحزن العميق، إضافة إلى اقترانه بالكسرة (صائت قصير) التي توحي دلالتها بالانكسار والألم الدقيق، والتدفق الدلالي الحزين المحترق بآهات الألم والانكسار.

فتوظيف صوت "النون" جاء في هذا المقطع الشعري منسجما مع الإيقاع الشجي الحزين، ويعود ذلك إلى الغنة التي يتسم بها حرف الروي، فهي بذلك تمنح الإيقاع ترنما صوتيا، وكأنه نوع من الأنين الذي ينبعث من روح الشاعر لينسجم مع معاني الحزن والشجن والأسى الذي يتضمنه النص الشعري.

إضافة إلى أن صوت النون يجمع بين صفات القوة (الجهر، والغنة)، وصفات الضعف كالتوسط بين الشدة والرخاوة، والاستفال، والانفتاح، والذلاقة، فهو صوت ضعيف عند

[4]- حسن عباس، (1998)،خصائص الحروف العربية ومعانيها ،منشورات اتحاد كتاب العرب، ص 64.

الدارسين - الصفات الضعيفة أكثر من الصفات القوية - وقد استغل الشاعر أحمد محرّم هذا الصوت مبرزا ما يحمله من دلالات الحزن.

النموذج الثاني:

يستخدم الشاعر صوت (الدال) رويا في قصيدته بعنوان "صوت مصر" التي يخاطب فيها المعتمد البريطاني في مصر ويحذره من مغبة الطغيان، ويذكره بما حدث للطغاة أمثاله، ونمثل نموذج صوت الدال في قول الشاعر:

عميد الغاصبين نزلت أرضا تبيد الغاصبين ولا تبيد

يذود الواحد القهار عنها إذا قهرت جنودك من يذود

أتذكر إذا لقومك ما أرادوا و(لكومر)، البطش الشديد

صوت الدال: صوت لثوي أسناني شديد مجهور يرتبط معناه بالقوة[5].

فحرف الدال ارتبط بمعاني القوة والشدة والصلابة، وتزداد هذه الدال قوة بالوقف عليها، فهي من الأصوات التي "....ضغطت من مواضعها (الانفجارية)، فإذا أوقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه فهو من حروف القلقلة....القاف، الجيم، الطاء، الدال، الباء، فلا تستطيع إلا أن تقف مع الصويت، لشدة ضغط الحرف"[6].

إن صفة الشدة (الانفجار) أوحت في هذه المقطوعة بمعاني البأس والمتانة، ففي الأصوات الشديدة " ينحصر الهواء خلف نقطة الانسداد، حتى إذا انفك هذا الانسداد وانفصل العضوان فجأة اندفع الهواء الداخلي ذو الضغط الثقيل إلى الهواء الخارجي ذي الضغط المنخفض محدثا جرسا انفجاريا "[7]، فمن شأن هذا التعزيز لانفجارية الدال بما يحدثه من هزة صوتية أن يزيد من تنبيه المتلقي على ما يحمله النص من دلالات فتساوقت الدلالات مع ما يحمله هذا الصوت من ملامح تمييزية.

النموذج الثالث:

[5]- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 116.

[6]- أبو بشر عمر بن عثمان (سيبوبة)، (1982)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، ط2، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة،ص 174.

[7]- تمام حسان، (1955)، مناهج البحث في اللغة، ط 1،مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 96.

صوت الباء: صوت شفوي انفجاري مجهور، يقضي أداؤه الصوتي صعوبة في مرور الهواء تنتج عن اهتزازات على مستوى الوترين.

الشدة التي بالحرف طبعت عليه طابع القوة والصلابة إذ " الشدة من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشدة جهر، وإطباق، واستعلاء فذلك غاية القوة"[8].

وظف أحمد محرم صوت الباء " كروي لقصيدة " بطل المفاوضة والشعراء " في خضم حديثه عن بأس وقوة، وشدة الحزب الوطني ردا على سعد زغلول، فقال:

نحنُ الضعـافُ وللعدُوِ صـرَامة الأسدِ الغضـُوبِ
الجيشُ صَـعب البأسِ والأسطولُ مرهوبُ الوثوبِ
أين البوارجُ والكَتَـا ئبُ للمعاركِ والحـروبِ

فالنسق الصوتي لفونيم الباء في أبيات هذه المقطوعة الشعرية قد مال إلى الشدة والقوة كما في الألفاظ (الغضوب، البأس، مرهوب، الوثوب...) نتيجة لتكرار صوت الباء الشديد، فضلا عن مجاورته لبعض الأصوات المجهورة التي تحمل صفة الشدة (الألف، الياء، الواو، الضاد....) مما ساهم في إضفاء معاني الشدة والبأس المرتبطة بالحزب الوطني.

النموذج الرابع:

ويواصل الشاعر استغلال هذه النهايات الصوتية التي يقف عليها القارئ -دلاليا وإيقاعيا- ممارسة تأثيرا خاصا على أحاسيس المتلقي العارف لمواصفات الإخراج والأداء لتحقيق ما أمكن من متعة جمالية من خلال دورها الدلالي في النص الإبداعي.

فيبرز صوت القاف بصداه المعبر وإيقاعه القوي الشديد " فجرس هذا الصوت يسمع من شق الأجسام وقرعها"[9].

فالقاف: صوت شديد مقلقل يتم إنتاجه عندما يرتفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى الحلق واللّهاة، ثم يضغط الهواء المتراكم خلف نقطة الالتقاء،وبعد انخفاض أقصى اللسان،

[8]- ابن الجوزي،(2006) ،التمهيد في علم التجويد، تحقيق فارس بن فتحي بن براهيم،ط1،دار ابن الهيثم، القاهرة، ص 35.

[9]- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان، مجمع اللغة العربية، دمشق، ص 93.

يندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا مسموعا، ويوحي "بالصلابة والقساوة والشدة "[10]،كما يحمل معنى المقاومة، فيوظف الشاعر هذه المعاني والدلالات في قصيدة (لغة السيوف).

إن كنت ذا حقٍ فخذهُ بقوةٍ الحقُ يخذلهُ الضَعيفُ فيزهقُ

لغةُ السُيوفِ تَحُل كلَّ قضيةٍ فدعِ الكَلامَ لجاهلٍ يتشَدقُ

فتعانقت الدلالات المستوحاة من الأسطر الشعرية (قوة، حق، خرق.....) لقصيدة (لغة السيوف) مع ما يحمله روي القاف من سمات صوتية أكسبت النص تماسكا وتراصا في بنيته، ليظهر في شكل كتلة متلاحمة ومتراصة لقوة إيقاع القاف وشدته، الذي أضفى إيقاعا قويا أكد قوة المعاني والمضامين التي طرحها الشاعر في قصيدته التي جاءت كرد فعل قوي وعنيف على انكسارات الأمة العربية، استعمل فيها أحمد محرم لغة تتسم بالجرأة على مسببات الأوضاع المزرية للشعوب العربية، محاولا من خلال هذه اللغة بث روح المقاومة في نفوس أبناء الأمة المستكينة.

وقد بني روي القصيدة على حركة الضمة وهذا لما تتمتع به هذه الحركة من سمات صوتية تجعل منها صائتا قصيرا في غاية التأثير في المتلقي فهو أكثر الحركات قوة "وقوة هذه الحركة تنبع مما يتم إدراكه عقلا واستشعاره نفسا من وقع أصواتها"[11].

النموذج الخامس:

صوت اللام: وقد وظفه الشاعر رويا في قصيدة " هو يا فلسطين النضال" ومنها قوله:

يا بائِعي عَرضَ العُروبَةِ ويحَكُم لا تَجْهلُوا....عرض العُروبَةِ غالِ

إن شئتُم البيعَ المبَاحَ، فإنَّما هُو بالدَّمِ المسفُوكِ لا بالمَالِ

دُنيَا من الأهواءِ إن لم تستفِق عَصفت دُنيَا مِنَ الأَهوالِ

يحمل هذا النص في طياته مرارة الظلم والاستبداد الذي تعانيه فلسطين، ووظف الشاعر رويا لهذه القصيدة (صوت اللام)الذي تتلاءم سماته الصوتية مع ما يحمله النص من دلالات ،فأول سمة تميز صوت اللام هو الانحراف أو الجانبية ،أي "انقلاب الهواء من جانبي اللسان، لأنه وجد مخرجه الأصلي في نقطة التقاء طرف اللسان باللثة مسدودا"[12]. فيمثل من

[10]- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 114.

[11]- قاسم نصر بتول، (1999م)، دلالة الإعراب لدى النحاة، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص 167.

[12]- الهنساوي حسام،(2016) ،دراسات في علم الأصوات ،دار غريب ، القاهرة ، ص 62.

خلاله الشاعر انحراف الزعماء العرب ،وانفلات القدرة من بين أيديهم ،وحيادهم عن طريق الحق، ويدعوهم إلى العودة إلى المخرج الأصلي للقضية بالجهاد ضد إسرائيل، أما ثاني سمة تميز صوت اللام، فهي جهره العالي التي يُفجر من خلاله أحمد محرم غضبه من الشعور بالذل والهوان الذي تسبب فيه هؤلاء الزعماء، ثم يدعو إلى رفض شتى أنواع الظلم والاستبداد.

أَوَمَا كَفَى نَومُ الحُمَـاةِ وَمَا جنت المضاجع من أذًى وخبَـالِ
شَرفُ الحياةِ لِكُل نفسٍ حرُةٍ تَأبَى حَياةَ الضِيمِ والإذلالِ
والشَعبُ إذَا خَفضَ الجَناحَ وَلمْ يذُدْ عَنْ حَوضِه أَمسَى بِأسْوءِ حالِ

ليكتمل المشهد الشعري بصائت الكسرة من خلال أماميته وانغلاقه، فيكشف لنا سعي الشاعر لتخليص الشعوب العربية بعامة وفلسطين بخاصة من الذل والهوان الذي تعيشه، وهذا من خلال حثها على النهوض والتقدم إلى الأمام.

أما انغلاق الكسرة فساهم في إبراز انغلاق السبل السياسية في حل الأزمة، كما يصور لنا انغلاق الأفق أمام شاعرنا وإغلاقه باب الثقة بالحكام العرب الذين باعوا عرض العروبة بأزهد الأثمان، فروي اللام يمنح النص قدرة على التأثير في المتلقي، وهذا نتيجة وضوحه السمعي العالي، فيدق الآذان، ويلج طارقا أعماق القلوب، ليتجاوب المتلقي مع مضمون النص الشعري.

النموذج السادس:

الأصوات المهموسة:

يستخدم الشاعر أحمد محرم هندسة صوتية تساهم في تناغم البنى الصوتية ودقة الإيحاء، فينسج نسيجا صوتيا متميزا يعمل على تجسيد المعنى العام للقصيدة الشعرية، فيستخدم الأصوات المجهورة بنسبة عالية، في دعوته إلى الثورة على كل مسببات الذل والهوان، في حين حملت الأصوات المهموسة في نصوصه الشعرية دلالات الانكسار والانخفاض فارتبطت بمواقف الحزن، والألم.، والنكسة، والانهزام.....

ومن الأمثلة المعززة لانسجام الأصوات المهموسة مع المعنى، قوله في قصيدة بعنوان "يوم السبت ":

سَأُتبعُ يومَ السبتِ ما عِشْتُ لَعنَةً يَطيرُ بِهَا عادٍ من الدهرِ ضَابحٌ
يَجيدُ فتلقَاه، وينأى فتنتَحِي تدافعه عما انتوى وتكافح

تظل كذي الذنب الطريد انبرت له عصائب شتى شرها متطايحٌ
هو اليومُ يومُ شُؤمٍ ضَجّ نذيـرهُ ومَرَّ بِه طيرٌ من النحسِ بارحٌ

1-**الحاء:** هو من الأصوات المهموسة ويحمل قيما دلالية تتلاءم والحالة الشعورية للشاعر، فهو "صوت مهموس يصدر حفيفا عند النطق به"[13]، من أعماق الحلق فهو صوت ضعيف، يوحي بشدة حزن الشاعر والحسرة التي تعتصر قلبه جراء الأوضاع التي آلت إليها مصر في ظل الاحتلال الإنجليزي، إذ يعد افتتاح البرلمان يوم السبت 15 مارس 1924 نجاحا للسياسة الاستعمارية التي كانت تهدف إلى تكوين سياسيين مصريين يخدمون مصالح إنجلترا.

فيختار صوت الحاء رويا لقصيدته ليجسد لنا ما تحمله نفس الشاعر من أسى وحسرة وألم، فالحاء " أكثر الأصوات تعبيرا عن العاطفة، وأكثرها حرارة وقدرة على تجسيد خلجات القلب و رعشتاه "[14].

كما يدل حرف الروي " الحاء " من خلال طبيعة مخرجه الحلقي المتكون من أنسجة رقيقة ومتناهية الحساسية على مقدار الوهن والضعف الذي أصاب الأمة العربية، فرقة الأنسجة الحلقية وحساسيتها الفائقة، وبحكم قربها من الصدر، سهل على الحروف الحلقية التكيف مع مختلف الحالات الشعورية التي تختلج في نفس الشاعر.

2- **صوت التاء:** صوت التاء يدل على "الاضطراب في الطبيعة "[15] وقد تآزر صوت التاء مع التشكيل الصوتي للقصيدة فساهم بهمسه في إبراز دلالة الحزن العميق الذي تعانيه الأوطان العربية جراء الأوضاع المزرية التي تعيشها.

الحربُ تقصِفُ في البلادِ رُعُودهَا والشعبُ تَقصمُ صُلبهُ النكباتُ
نزلَ البلاءُ بهِ فَقومٌ جُوّعٌ يَتضَورُونَ، وآخرونَ عراةُ
والمالُ غادٍ في الحقائبِ ورَائح تمضي جلاوزة، به وجباةُ

3 - **الهاء:** صوت حنجري، رخو، مهموس يتم نطقه عند احتكاك الهواء الخارج من الرئتين بالتضييق الحاصل في الأوتار الصوتية ،فيصدر حفيفا يسمع في أقصى الحلق، فكأن الشاعر يخرج آهاته وحزنه وسخطه على الأوضاع العربية من أعماق نفسه لتتقابل وعمق مخرج

[13]- إبراهيم أنيس، (1981)،الأصوات اللغوية ، ط3،المكتبة الأنجلو المصرية، ص24.
[14]- سالم يعقوب يوسف، القافية وبناؤها الصوتي، ص 17.
[15]- العلايلي عبد الله(د.ت)،مقدمة لدرس لغة العرب، د.ط ،ص 63.

الهاء، فوجد متنفسا من خلال هذا الصوت الذي يوحي من خلال "اهتزازاته العميقة في باطن الحلق بالاضطرابات والانفعالات النفسية"[16]، فالرقة المتناهية لأنسجة الحلق جعلت من الهاء صوتا يتكيف والمشاعر التي تختلج في نفس الشاعر.

ومن الأصوات المهموسة التي أسهمت في إبراز دلالة الحزن والأسى صوت السين الذي استثمر الشاعر صفاته وإيقاعه المميز في قصائده ليعبر به عن الإيقاع الحزين.

4- السين: "صوت مهموس، احتكاكي، ضعيف يوحي بمعنى الأنين، والخفاء والرقة، والضعف"[17]؛ لكن هذا لا يعني أن للصوت قيمة دلالية بمعزل عن السياق، بل يحتاج إلى سياق معين يشحنه ببعده الدلالي، فالتفاعل قائم بين التشكيل الصوتي والسياق وذلك في مثل قول الشاعر:

كيفَ تَملكُ نفْسَي فيكَ تَأسيةً وَالحُزنُ يَملِكُ وِجدَاني وإِحسَاسِي

لي مِن مُصَابكَ إِن نَفسُ امرِئ سَكنتْ نَفسُ الجَريحِ وقلبُ الجَازعِ الآسِي

إن صفة الصفير التي تميز " السين " زادت من مدة نطق الصوت، ليعبر به عما يعتريه من ألم وحسرة على فقدان فارس مقدام مدافع عن الحق، فناسب هذا الصوت المهموس الكلمات (آسي، اليأس، نفس، إحساسي)، بما يحمله من دلالات مع التشكيل الصوتي للقصيدة.

ثم إن تآزر الوحدات الصوتية المهموسة، يولد إيقاعا خافتا، وحسا مرهفا، يوجب على المتلقي التأمل، فتوقظ حركة الوجدان، وتحرك فيه المشاعر النبيلة.

2- الطاقة التعبيرية للصوائت في ديوان السياسيات :

تساهم الحركات في إبراز معاني الأصوات، فتبرز بذلك المعاني الجمالية للنص، والملاحظ أن الشاعر أحمد محرم وظف الصوائت في ديوانه نظرا لأهميتها في تجسيد الدلالات وتوضيحها، ذلك أن توظيفها " لا يختار اختيارا و إنما يأتي في الأغلب مجانسا للفكرة

[16]- حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص 192.

[17]- المرجع نفسه، ص114.

والإحساس الممتزج بالفكرة ليعطيها جانبا من التطوير بقوة التداعي "[18]، فالتنوع في تشكيل الصوائت يؤدي إلى تعدد الدلالات وتوجيه الخطاب الشعري.

يتضح لنا سيطرة المد بالفتح على معظم قصائد الديوان، ذلك أنها صائت يتشكل صوتها في جوف الفم مع حركة الفك العلوي إلى أعلى مما يشير إلى فوق، " فيوحي بالامتداد والعلو "[19]، فمنح للشاعر نفسا أطول جعله يمد صوته المحمل بمختلف الأحاسيس والمشاعر التي تجيش في صدره لتلهب مشاعر المتلقي وتهيج أفكاره، فالصوت الممدود يساعد النص على تأدية وظيفة نفسية بفضل طاقته الكامنة والقادرة على احتضان الحزن والحسرة والآهات، ومن أمثلته قول الشاعر في قصيدة بعنوان " وعد بلفور ":

إيه شعـوبَ المسلميـنَ تنبهـوا وتدارَكُوا أسبَابَكُم أن تجذمَا
اللهَ في إخْوانِكُـم وَبِلادَكُـم أفَمَا تَـرونَ الخَطبَ تهجَمَا
حَفظوا التراثَ لكم وصَانُوا عرضَكُم أفتَكرهُون لعرضِكُم أن يسلمَا

فقد عملت المدود في هذه المقطوعة الشعرية على إثراء دلالة الألفاظ وإزالة الستار عن المشاعر الجياشة التي تفيض بها نفسية الشاعر، فساعدت على بعث الحركة والحيوية في النص، وزادت النص تنغيما موسيقيا ينقل إلى المتلقي روعة الموسيقى ودفء المشاعر.

ولما كانت الصوائت تمتاز بالوضوح السمعي التام عند النطق بها، وتبدو واضحة للمتلقي بكامل صفاتها، فقد وظف الشاعر هذه الخاصية ليعبر بها عن صمود الشعب الفلسطيني في مواجهة جبروت العدوان الإسرائيلي، وقد عمد فيها إلى اختيار قافية منتهية بمد الألف حتى يظل صوته مؤديا للغرض المنشود، فالشعر عنده سياسي يهدف إلى استنهاض الهمم لدى الشعوب العربية والإسلامية لمساندة أهلهم المرابطين واستعادة مجدهم التليد.

وينشد في ذكرى المولد النبوي الشريف قصيدة بعنوان " يا مولد المختار" ومنها قوله:

يا فـاتح الدنيا ومانح أهلها ماعزَّ مرجوًّا، وجلّ مرومًّا

[18]- بحري نوارة، نظرية الانسجام الصوتي وأثرها في بناء الشعر، (دكتوراه) ،كلية الآداب جامعة الحاج لخضر، باتنة،2009، ص 367.

[19]- حسن عباس، (2000)، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، اتحاد الكتاب العرب دمشق، سوريا، ص 30.

أنقذت هذي الأرضِ من آلامِها وشـفيت هذا العالم المحموما
بالساطعات الشافياتِ من العمَى يطغَى غياهِب أو يموج غيومَا

وظف الشاعر في هذه المقطوعة الشعرية المد بالألف في قصيدته ،وقد أكثر من استعماله، فيقوم هذا الصائت من خلال " الانفتاح الشديد لمجرى الهواء عند النطق به "[20] بالدلالة على علو المنزلة، ورفعة شأن الرسول صلى عليه وسلم الذي فتح الدنيا وأعز أهلها بالقرآن، فالإطلاق والقوة ومد الصوت تناسب فضائل الرسول.

ومن المعلوم أن الفتحة أكثر الصوائت خفة، وأقواها إسماعا، وأكثرها اتساعا، وصفت بالمتسعة لاتساع مخرجها، فهي باتساعها وجهرها العالي تفسح المجال للشاعر بمد صوته عاليا ليوقظ في الشعوب الإسلامية ضمائرها، ويدعوها إلى استعادة مجدها ومكانتها بين الأمم .

و بهذا فقد وظف الشاعر الفتحة الطويلة في قصائده، واستغل ما تمتاز به من سمة الوضوح السمعي خلاف غيرها من الصوائت، ليمنح قصائده أقصى دلالات الوضوح والقوة؛ من أجل إيصال رسالته إلى المتلقي أولا، ثم التأثير فيه ثانيا.

كما وظف الشاعر صائت الضمة، وقد جاء بدلالات متنوعة نابعة من انفعالاته وشحنها بدلالة السياق الواردة فيه، ولتوضيح دلالات الضمة، نأخذ بعض الأمثلة من الديوان، ومنها قول الشاعر:

اعمل وجاهد يا محمدُ إنها دُنيا يموتُ بها الجبانُ الهائبُ
للمُلكِ أوتادٌ تقامُ، وأنت من أوتادهِ إن جدَّ أمرٌ حـازبُ

الضمة صائت خلفي منغلق ومستدير، وهي تحتاج إلى جهد عضلي أكثر من نظيرتيها (الفتحة والكسرة) فهي تتكون بتحريك أقصى اللسان[21]، وقد أكد العالم (فوناجي Fonagy) بلوائحه الإحصائية أنه صائت يدل على الحزن والقوة، وقد وظفه الشاعر أحمد محرم بما يخدم معاني القوة والانتصار في قصيدته (عودة ظافرة) التي نظمها في السياسي " محمد محمود " بعد عودته من إنجلترا مدافعا عن استقلال فلسطين ومصر.

[20]- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان ،(1982)،الكتاب، ج4، ط2.،مكتبة الخانجي، القاهرة، ص436.
[21]- ينظر: علي عبد الله القرني، أثر الحركات في الصوت والبنية، ص 10.

فأدى فونيم الضمة، بالتضافر مع فونيم الباء (روى القصيدة) هذا الصوت الشفوي الانفجاري المجهور الذي يحمل معنى الظهور والبروز من خلال شفويته، دلالة الصلابة والحنكة السياسية التي يتمتع بها هذا السياسي المحنك الذي افتك النصر من الإنجليز، وهي دلالة مستوحاة من الضمة التي تعد أكثر الحركات قوة وثقلا، فتناغم الصوتان لينتجا إيقاعا موسيقيا قويا يتناسب ومضمون القصيدة. يقول الشاعر في موضع آخر:

حَيُوا الغُزاةَ قيامًا وانظُروا تَجدُوا وُفودَهم حولكم يا قوم تزدحم
ثم انظروا تارة أخرى تروا لهباً في كل ناحية للحرب يضطرم
الأرض ترجف رعباً والسماء بها غيظٌ يظل على الكفار يحتدم
هم حاربوا الله لا يخشون نقمة في موطن تتلاقى عنده النقم

يؤدي فونيم الضمة - الطويلة والقصيرة - في هذه المقطوعة الشعرية دفقا دلاليا مهما، وذلك من خلال تناسب سماته الصوتية مع السياق اللغوي للأبيات، فالشاعر يستنهض الهمم ويدعو إلى الثورة واستعادة الحقوق المسلوبة، فتواشجت حركة الضمة بما تحمله من دلالات القوة وصوت الروي المجهور، فأنتج إيقاعا قويا يلج إلى قلوب المتلقين بقوة وثبات، فالشعر عند أحمد محرم سياسي يهدف من خلاله إلى الدفاع عن العروبة والإسلام.

ويبدو أن سبب اعتماد الشاعر في بناء روي قوافيه على الضمة راجع إلى ما يتمتع به هذا الصائت من سمات صوتية جعلته في غاية التأثير في المتلقي من حيث أنها أكثر الحركات قوة وثقلا " وقوة هذه الحركة تنبع مما يتم إدراكه عقلا أو استشعاره نفسا من وقع أصواتها"[22] فتناسبت الضمة والسياق اللغوي الذي وردت فيه "مستعلية مرتفعة في بداية الفراغ الفموي، مضمومة مفخمة في نهايته، فينتهي بها الأمر مستوية في النهاية"[23].

أما الكسرة بنوعيها، فقد وظفها الشاعر بما يخدم دلالات الحزن والأسى، والخيبة من الأوضاع المزرية، والحسرة على المجد الضائع.....، وهذا ما يتلاءم ودلالات هذا الفونيم، فالكسرة حركة أمامية ضيقة، تكون الشفتان عند النطق بها في حالة انفراج، وهي تدل على الصغر واللطف"[24] وهذا ما تؤكده قوائم (فوناجي) الإحصائية.

---

[22]- سالم يعقوب يوسف، القافية وبناؤها الصوتي في شعر رثاء الحسيني، ص 24

[23]- مكي درار، الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت، ص178.

[24]- مفتاح محمد،(1989)، في سيمياء الشعر العربي القديم، الدار البيضاء، دار الثقافة ،ص74.

ونستطيع أن نرصد بعض النصوص الشعرية التي تحركت أصوات الروي فيها بالكسر، ففي قصيدة "الوحدة العربية" يقول الشاعر:

(أمم العروبة) جاء يومك، فاعلمي وإلى مكانك فانهضي وتقدمي
لكِ في فم الزمان دعوة صارخ ينفي القَرارَ عن الشعوبِ النُوَمِ
فدعي المضاجعَ وانفضِي عنكِ الكرى وخذي السَبيل إلى المقامِ الأعظمِ
ضُمي الجراحَ وتجَمعِي في وحدةِ عربية تحمي اللواء وتحتَمِي
لاَ تُؤثري العَيشَ الذليلَ وجَانبِي خُلق الضَعيفِ وشيمه المستسلم

في هذه المقطوعة الشعرية أسهمت الصوائت المكسورة في بناء المشهد الشعري للقصيدة، فجسدت الكسرة من خلال أماميتها وانغلاقها، فحملت سمة الانغلاق دلالة العيش الذليل الذي تعيشه الشعوب العربية نتيجة لتفرقها وخنوعها وخضوعها للغرب، أما السمة الأمامية فتساوقت وحالة توتر الشاعر ودعوته لهذه الشعوب بالوحدة التي ستخلصها من كل أنواع المعاناة والشقاء، وتنهض بها إلى الأمام لتسير في ركب الأمم المتقدمة، فتستعيد مكانتها الضائعة بين هذه الأمم.

كما اشتملت هذه المقطوعة الشعرية على أشكال متنوعة من المد الصوتي (اعلمي، انهضي، تقدمي، تحتمي، جانبي....) التي احتوت على مدود بالياء عكس من خلالها الشاعر تناعما بين دلالة اللفظ وروعة الموسيقى، سيطر فيها الأمل على شاعرنا على الرغم من المعاناة التي تعيشها الأمة العربية.

أمم العروبة جد جدك فانظمي من عقدك المنثور ما لم ينظم
لك أن تسود تحت رايتك التي خفقت لها الدنيا فسودي واسلمِي

ويواصل أحمد محرم توظيف هذا الصائت للتعبير عن مكنوناته الداخلية وآلامه الدفينة، ويجد فيه الملاذ الوحيد والصادق للبوح بآهاته الحزينة النابعة من قلب مليء بالأحزاب والمآسي، فينشد قائلا في قصيدة "الشرق يرجف والإسلام في فزع":

مَمالك الشرق ما في الحق من بأس أشُفيَ الجريحُ، وضلت حكمةُ الآسي
دعي القضاءَ وما تبتغي زلازلهُ بالشامخ الضخم أو بالشاهق الراسي
واستقبلي ضرباتَ الدهر خاشعةً ذهبن بالقلب أم أوْدينَ بالرّاس
نداعسُ الحادثات السد ثائرة والموت يصرع منا كلَّ دعاسِ

فقد لعبت الكسرة دورا دلاليا هاما وفعالا في هذه القصيدة، فأوحت بمعاني الحزن والحسرة والألم والانكسار، وشكلت مع صوت (السين) هذا الصامت الاحتكاكي المهموس الذي يحمل دلالة الرقة والضعف واللين إيقاعا موسيقيا شجيا وحزينا يتناسب مع موقف الشاعر الحزين من واقع الحياة، كما ساهمت المدود في تمثيل دلالة الحزن، فهي أقرب إلى تمثيل حالة الحزن؛ ذلك أنها تحتاج إلى زمن طويل يتناسب ودلالة الأصوات المصاحبة للأنين والشكوى، إضافة إلى أن صوت الكسرة الطويلة "يتشكل في جوف الفم مترادفا مع حركة الفك السفلي باتجاه الصدر مما يشير إلى تحت "[25] فتكون أليق بالذات وأولى بحميميتها من سواها في هذا المقام الذي يتوافق والبعد المأساوي لصوت الشاعر.

الخاتمة:

إن ما يمكن أن نستخلصه من هذه الدراسة أن الشاعر أحمد محرم قد وظف الأصوات اللغوية تبعا لصفاتها ومخارجها في حمل الدلالات المختلفة التي أراد التعبير عنها من حزن، وألم، وغضب، وثورة على الطغيان.... وقد وفق إلى حد كبير في توظيف هذه الأصوات لحمل تلك الدلالات اللغوية، فجاءت الأصوات المهموسة حاملة لدلالة الرقة والهدوء، والحزن والألم، في حين وظف الأصوات المجهورة بما يخدم معاني العنف والقوة والبأس في شعره.

- من خلال استقراء الصوائت في الديوان الشعري، أمكن قراءة الدلالات ،فلم يوظفها أحمد محرّم اعتباطا، فقد أظهرت الدراسات الإحصائية للصوائت هيمنة الفتح، حيث لجأ إليها الشاعر لتوظيف أقصى دلالات الوضوح لإيصال رسالته إلى المتلقي وهذا راجع لما تتصف من جهر وقوة إسماع عالية.

- يتميز الديوان الشعري "السياسيات" بوضوحه السمعي العالي الذي يخترق الآذان ليلج إلى عقل المتلقي، ويتكفل بهذا الوضوح السمعي العالي النسب العالية لورود (النون، والميم، والراء، واللام) فهي أكثر الأصوات حضورا؛ لأنها سلسة النطق، لقرب مخرجها، وذات وضوح سمعي عال، أضف إلى ذلك قدرتها على الانطلاق دون تلعثم أو تعثر، ومن شأن هذا الوضوح

[25]- عباس حسن، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، ص 30.

السمعي، وهذه السلاسة النطقية أن يحققا ما يصبو إليه الشاعر أحمد محرم من لفت انتباه متميز عند الملتقى ؛ لأنهما عنصران أساسيان من عناصر الموسيقى اللغوية؛ فالشعر عنده سياسي يهدف من خلاله إلى مخاطبة عقول المتلقين وحثهم على مهاجمة المحتل وأنظمته العربية العميلة وتحذيرها من الضياع والتفريق الذي تسعى إليه الأنظمة الاستعمارية.

- استطاع أحمد محرم أن يستغل الطبيعة الكامنة في الصوت اللغوي لإحداث ذلك التأثير الذي ينقل الصورة للملتقى، فالصوت مادة خام طوعها الشاعر لأغراض متنوعة حسبما جادت به قريحته الشعرية، فيستخدم صوت الميم أو النون مثلا للتعبير عن الترنم، ويستخدمه تارة أخرى للدلالة على الحزن والأسى، فالأصوات المفردة (الفونيمات) لا يمكن لها أن تحمل معاني في ذاتها، ولكنها اكتسبت تلك المعاني من السياق الذي وردت فيه، فتلونت بلونه، فوظفها الشاعر في تصوير أو تأكيد الصورة الشعرية التي أراد إبرازها من خلال قصيدته الشعرية.

- وظف أحمد محرم في قوافيه وفي ثنايا أبياته الأصوات التي ترتبط بموضوع القصيدة وبصورتها الفنية، فيعمد إلى تكرارها لتصوير اللوحة الفنية التي يمارس من خلالها ضغطا جماليا على حساسية المتلقي، فكانت بذلك ظاهرة صوتية لها وظيفتها في الصوت والدلالة لأنها تمثل ختام المنظومة الصوتية في القصيدة الشعرية، وتمثل ركنا من أركان الأداء الصوتي للنتاج الشعري الذي يساهم في فهم الصياغة الدلالية للخطاب الشعري.

- برزت الصوائت بروزا واضحا في شعر أحمد محرم، ذلك لأن امتداد الصوائت عامل أساسي في اتساع دلالاتها المختلفة، فكانت ملائمة لأغراضه الشعرية، وقد عبرت أصدق تعبير عن أحاسيسه، فكان موفقا في اختيارها لملاءمة مقتضيات الحال والمقام، فكانت سند الشاعر لإيصال غاياته إلى المتلقي.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد محرم، (1984)، السياسيات، جمع وتحقيق: محمود أحمد محرّم، مكتبة الفلاح، الكويت.

2- ابن جني، (1981) ، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، ط2،دار الهدى للطباعة ، بيروت.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ، ط3،مكتبة الأنجلو المصرية.

4- ابن الجوزي، (2006) ، التمهيد في علم التجويد، تحقيق فارس بن فتحي بن براهيم ، ط1،دار ابن الهيثم، القاهرة.

5- ابن سنان الخفاجي،(1982) ، أبو عبد الله بن محمد، سر الفصاحة،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق: محمد حسان، (د ط)، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د ت).

7- أبو بشر عمر بن عثمان (سيبويه)، (1982)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة.

8- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ط2، عالم الكتب، القاهرة.

9- بتول قاسم نصر، (1999) ، دلالة الإعراب لدى النحاة، الطبعة الأولى ،دار الشؤون الثقافية، بغداد.

10- بحري نوارة، نظرية الانسجام الصوتي وأثرها في بناء الشعر،(دكتوراه)،جامعة باتنة ، 2009.

11- تمام حسان،1955 م، مناهج البحث في اللغة، ط1،مكتبة الأنجلو المصرية.

12- حسام بهنساوي،(2004)، علم الأصوات، الطبعة الأولى ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

13- حسن عباس،(2000) ، حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

14- حسن عباس، (1998) ، خصائص الحروف العربية ومعانيها ،منشورات اتحاد الكتاب العرب.

15- زينة بوديسة ، (2014)، الدلالة الصوتية في سورة مريم ،ط1، دار الآفاق العربية.

16- صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث.

17- ماهر مهدي هلال، (1990)، الأسلوبية الصوتية بين النظرية والتطبيق، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد2.

18- محمد حسين علي الصغير، (2000) ، الصوت اللغوي في القرآن، الطبعة الأولى ، دار المؤرخ العربي، لبنان.

19- مفتاح محمد،1989، في سيمياء الشعر العربي القديم، الدار البيضاء، دار الثقافة.

20- مهدي عناد قبها، (2013) ، التحليل الصوتي للنص، الطبعة الاولى ،دار أسامة للنشر.